الرد على الشيعية (٢)

الأستاذ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى
تعريب : سعيد الأعظمى الندوى

انتساب الرافضة إلى ولد الحسين و مدحهم لهم مصيبة : يرى ابن تيمية أن الرافضة أصدقاء حمقى لأهل البيت ، فإن مبالغتهم فى أمر أهل البيت وغلوهم ، و نسبة الأحداث و الروايات المزورة إليهم تنال من سمعتهم ، وتحط من شأنهم ، يقول :

« من المصائب التى ابتلى بها ولد الحسين انتساب الرافضة إليهم وتعظيمهم و مدحهم لهم ، فإنهم يمدحونهم بما ليس بمدح و يدعون لهم دعاوى لا حجة لها ، و يذكرون من الكلام ما لو لم يعرف فضلهم من كلام غير الرافضة لكان ما تذكره الرافضة بالقدح أشبه منه بالمدح (١) »

و يقول فى موضع آخر :

« و لكن القوم جهال بحقيقة المناقب و المثالب و الطرق التى يعلم بها ذلك » (٢) .

نتائج العصبية : استطاع مؤلف « منهاج الكرامة » أن يجمع قدراً كبيراً من الآيات و الأحاديث و الروايات كدليل على إمامة سيدنا على رضى الله عنه و فى مناقب أئمة أهل البيت رضى الله عنهم ، إن نظرة قليلة فى هـــذه

(١) منهاج السنة ج ٢ ص ١٢٥ . (٢) أيضاً ج ٢ ص ١٢٦ .

الآيات و الأحاديث و الروايات تبين مدى أضرار العصبية التى تنحرف بالمرء من الجادة الصحيحة إلى ضلال و جهل ، إن معظم هذه الروايات إما لا علاقة لها بأهل البيت بتاتاً ، أو أنها تتناقض مع المعانى التى يريد أن يثبتها منها ، كما أن أكثرها ضعيفة و موضوعة و قد وصفها ابن تيمية بأنها « الروايات المسيبة التى لا زمام لها و لا خطام » ، و قد بلغ المؤلف الرافضى فى ذلك من الوقاحة والجراءة مبلغاً لا يتصوره العقل ، فقد نسب كثيراً من هذه الروايات إلى الصحيحين ، و كثيراً منها إلى مسند أحمد بن حنبل ، و جاء ابن تيمية فكشف عنها القناع و أثبت أنها لا توجد لا فى الصحيحين و لا فى المسند ، وأثبت أن بعضاً منها موضوعة لا توجد فى أى مجموعة من الأحاديث ولا فى دواوين الحديث ، و بما أن الرافضة أجهل الناس بالكتاب والسنة لا يستطيعون أن يفهموا مصطلحات عادية فلا يترددون شيئاً فى الكذب و التزوير بعض الأحيان .

أما بخصوص الآيات فقد جاء المؤلف فى تفسيرها بما لا يقل عن الملح الخرافية ، و ما أن يقرأ أحد تفسيره للآيات إلا و يتذكر الملحة المعروفة التى تدور حول : ساغب سئل عن اثنين كم يكون بعد الضرب فى اثنين فقال أربع خبز ، و قد أدرج المؤلف فى كتابه أربعين آية و يعتقد أنها نزلت فى سيدنا على رضى الله عنه ، نذكر منها البعض :

الآية « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً » يذكر المؤلف فى تفسير هذه الآية حديثاً لأبى نعيم يفيد أنها نزلت بعد خطبة غديرخم ، و قال رسول الله ﷺ : الله أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة و رضا الرب برسالتى و بالولاية لعلى من بعدى » .

يثبت ابن تيمية على طريقة المحدثين أن هذا الحديث موضوع باجماع أهل الفن ، و لا يوجد فى أى كتاب من كتب الحديث الموثوق بها ، ثم يثبت عن طريق التاريخ و التفسير و يقول إن كتب الصحاح و المسانيد و التفسير تؤكد أن هذه الآية إنما نزلت فى عرفة و هو واقف بها ، و قال رجل من اليهود لعمر بن الخطاب رضى الله عنه يا أمير المؤمنين آية فى كتابكم تقرأونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك عيداً ، فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه أى آية هى ؟ قال قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً » فقال عمر : إنى لأعلم أى يوم نزلت و فى أى مكان ، نزلت يوم عرفة بعرفة و رسول الله ﷺ واقف بعرفة ، يقول ابن تيمية : « و هذا مستفيض من وجوه أخرى . و هو منقول فى كتب المسلمين الصحاح و المسانيد و الجوامع و السير و التفسير و غير ذلك . و هذا اليوم كان قبل يوم غديرخم بتسعة أيام ، فانه كان يوم الجمعة تاسع ذى الحجة ، فكيف يقال : إنها نزلت يوم الغدير » .

و أما ما جاء فى هذه الرواية من هذا اللفظ و هو قوله : اللهم وال من والاه و عاد من عاداه ، و انصر من نصره و اخذل من خذله ، كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث » و يقول : إن دعاء النبى ﷺ مجاب ، و هذا الدعاء ليس بمجاب فعلم أنه ليس من دعاء النبى ﷺ .

و قال المؤلف الرافضى إن قوله تعالى : « مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان » على و فاطمة بينهما برزخ لا يبغيان النبى ﷺ ، و أول « يخرج منهما اللؤلؤ و المرجان » الحسن و الحسين .

يقول ابن تيمية رداً على هذا الكلام :

« إن هذا و أمثاله يقول من لا يعقل ما يقول ، و هذا بالهذيان أشبه منه بتفسير القرآن و هو من جنس تفسير الملاحدة و القرامطة الباطنية للقرآن بل هو شر من كثير منه » وقد ذكر بعد ذلك ستة وجوه تكذب هذا الرأى.

أحدها : أن هذا فى سورة الرحمن وهى مكية باجماع المسلمين ، والحسن و الحسين إنما ولدوا بالمدينة ، و الثانى : أن الله ذكر أنه مرج البحرين هذا فى آية آخرى فقال فى الفرقان : « و هو الذى مرج البحرين هـذا عذب فرات ، و هذا ملح أجاج » فلو أراد بذلك عياً و فاطمة لكان ذلك ذماً لأحدهما باجماع أهل السنة و الشيعة ، و الثالث : أنه لو أريد بذلك على و فاطمة لكان البرزخ هو النبى ﷺ بزعمهم أو غيره هو المانع لأحدهما أن يبغى على الآخر ، و هذا بالذم أشبه منه بالمدح » .

و هكذا فان هذا الجزء من كتاب الرافضى ملىء بالغرائب و العجائب و قد تصدى ابن تيمية للرد عليه فى ضوء الحديث و الفقه و التاريخ و النقد بما يتبين به مدى ذكائه و وفرة علمه وغزارة مادته وقوة مناظرته ، إنه يقول و هو ينتقد دلائل المؤلف الرافضى : « فضل على و ولايته لله و علو منزلته عند الله معلوم عند الله ـ و لله الحمد ـ من طرق ثابتة أفادتنا العلم اليقينى لا يحتاج معها إلى كذب و لا إلى ما لا يعلم صدقه (١) » .

والجزء المهم الآخر من كتاب ابن تيمية هو ما يبحث فيه عن « منهاج الكرامة » و يرد على المطاعن التى يتناول بها الصحابة الكرام رضى الله عنه بوجه عام ويطعن بها الشيخين بوجه خاص ، وأبا بكر الصديق رضى الله عنه بوجه أخص ، و هذه المطاعن و الايرادات حول شخصية الصحابة و الشيخين

(١) منهاج السنة ج ٤ ص١٨٦ .

مأخوذة من القرآن أيضاً كما يزعم المؤلف الرافضى ، و من الأحاديث وكتب السير و التاريخ أيضاً ، و هى دليل على أن العداوة لا تترك أى إنسان مهما كان عاقلا و متعلماً إلا وتعميه ، و نورد فيما يلى نموذجين لهذه المطاعن .

إن الآية الشهيرة فى القرآن التى تعتبر أكبر دليل على فضيلة أبى بكر الصديق رضى الله عنه و منزلته السامية التى يتفرد بها لا يعادله فيها أى فرد من أفراد الأمة وهى قوله تعالى : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » يقول صاحب « منهاج الكرامة » إنه لا فضيلة له فى الغار لجواز أن يستصحبه حذراً منه لئلا يظهر أمره ، و أيضاً فان الآية تدل على نقيضه لقوله « لا تحزن » فانه يدل على خوفه و قلة صبره ، و عدم يقينه بالله تعالى وعدم رضاه بمساواته النبى ﷺ و بقضاء الله و قدره ، ... و أيضاً فان القرآن حيث ذكر إنزال السكينة على رسول الله ﷺ أشرك معه المؤمنين إلا فى هذا الموضع و لا نقيض أعظم منه (١) » .

و قد أجاب عليه ابن تيمية أولا باثبات المناقب و الفضائل الكثيرة التى جمعها الله تعالى فى هـذه الآية لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، و بأن هذه المعية التى أكرم الله بها أبابكر الصديق رضى الله عنـه إنما كانت خاصة به ، و أما قول الرافضى « لجواز أن يستصحبه حذراً منه لئلا يظهر أمره » يدل على أن النبى ﷺ لم يكن يثق به و لا كان مطمئناً من قبله « فمعلوم أن أضعف الناس عقلا لا يخفى عليه حال من يصحبه فى مثل هذا السفر الذى يعاديه فيه الملأ الذين هو بين أظهرهم و يطلبون قتله ، و أولياؤه هناك ، لا يستطيعون

(١) منهاج السنة ج ٤ ص٢٣٩ .

نصره فكيف يصحب واحداً ممن يظهر له موالاته دون غيره و قد أظهر له هذا حزنه و هو مع ذلك عدو له فى الباطن ، والمصحوب يعتقد أنه وليه ، و هذا لا يفعله إلا أحمق الناس و أجهلهم ، فقبح الله من نسب رسوله الذى هو أكمل الخلق عقلا و علماً و خبرة إلى مثل هذه الجهالة و الغباوة (١) » .

و يقول ابن تيمية :

« و لقد بلغنى عن ملك المغول خربنداه الذى صنف له هذا الرافضى كتابه هذا فى الامامة أن الرافضة لما صارت تقول له مثل هذا الكلام أن أبا بكر كان يبغض النبى ﷺ و كان عدوه ، و يقولون مع هذا أنه صحبه فى سفر الهجرة الذى هو أعظم الأسفار خوفاً قال كلمة تلزم عن قولهم الخبيث وقد برأ الله رسوله منها كان قليل العقل ولاريب أن من فعل ما قاله الرافضة فهو قليل العقل و قد برأ الله رسوله و صديقه من كذبهم (٢) » .

ثم تناول ابن تيمية كلام الرافضى جزءاً جزءاً ورد عليه بتفصيل ، و ذكر المواضع التى جاء فيها ذكر الحزن و الخوف فى القرآن الكريم ، وأن الحزن و الخوف إنما ثبت لأولى العزم من الرسل و الأنبياء وكبار الأولياء و الصلحاء و أفراد أهل البيت ، أما قول الرافضى إن القرآن حيث ذكر إنزال السكينة على رسول الله ﷺ أشرك معه المؤمنين يوهم أنه ذكر ذلك فى مواضع متعددة وليس كذلك بل لم يذكر ذلك إلا فى قصة حنين كما قال تعالى : « و يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً و ضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين و أنزل جنوداً لم تروها » فذكر إنزال السكينة على الرسول والمؤمنين بعد أن

(١) منهاج السنة ج ٤ ص ٢٥٥ . (٢) أيضاً ج ٤ ص ٢٥٦ .

ذكر توليتهم مدبرين (١) » .

و قد ذكر إنزال السكينة على المؤمنين وحدهم فى مواضع عديدة من القرآن ، و تناول ذلك بالبحث و التفصيل .

و النموذج الثانى لهذا التعصب و الجهل الأعمى حول ما جاء فى كتب السير أن النبى ﷺ عند ما كان فى العريش يوم بدر كان أبوبكر رضى الله عنه أنيسه ، يقول الرافضى :

« و أما كونه أنيسه فى العريش يوم بدر فلا فضل فيه لأن النبى ﷺ كان أنسه بالله مغنياً له عن كل أنيس ، لكن لما عرف النبى ﷺ أن أمره لأبى بكر بالقتال يؤدى إلى فساد الحال حيث هرب عدة مرار فى غزواته (٢) » .

و قد ساءت ابن تيمية هذه التهمة فثارت فيه حماسة الايمان والصدق ، و رد عليه بقوله :

« الجواب أن يقال لهذا المفترى الكذاب ما ذكرته من أظهر الباطل بوجوه :

أحدها : أن قوله « هرب عدة مرار فى غزواته » يقال له هذا الكلام يدل على أن قائله من أجهل الناس بمغازى رسول الله ﷺ و أحواله ، والجهل بذلك غير منكر من الرافضة فانهم من أجهل الناس بأحوال الرسول وأعظمهم تصديقاً بالكذب فيها و تكذيباً بالصدق منها ، و ذلك أن غزوة بدر هى أول مغازى القتال لم يكن قبلها لرسول الله ﷺ و لا لأبى بكر غزاة مع الكفار أصلا ، وغزوات القتال التى قاتل فيها النبى ﷺ تسع غزوات . . . . وأما الغزوات التى لم يقاتل فيها فهى نحو بضع عشرة ، وأما السرايا فمنها ما كان فيه

(١) منهاج السنة ج ٤ ص ٢٧٢ . (٢) أيضاً ج ٤ ص ٢٨٤ .

قتال و منها ما لم يكن فيه قتال ، و بكل حال فبدر أول مغازى القتال باتفاق الناس . . . و ليس قبلها غزوة ولاسرية كان فيها قتال إلا قصة بنى الحضرمى ولم يكن فيها أبو بكر ، فكيف يقال إنه هرب قبل ذلك عدة مراراً فى مغازيه .

الثانى : أن أبا بكر رضى الله عنه لم يهرب قط حتى يوم أحد لم ينهزم لا هو و لا عمر . . . فمن أثبت ذلك عليهما هو المدعى لذلك فلا بد من إثبات ذلك بنقل يصدق .

الثالث : أنه لو كان فى الجبن بهذه الحالة لم يخصه النبى ﷺ دون أصحابه بأن يكون معه فى العريش ، بل لايجوز استصحاب مثل هذا فى الغزو ، فانه لا ينبغى للامام أن يقدمه على سائر أصحابه و يجعله معه فى عريشه (١) »

التناقض فى سيدنا على رضى الله عنه : يتحدث ابن تيمية عن سيدنا على رضى الله عنه و يشبه الرافضة بالنصارى ، فكما أن النصارى اتخذوا أربابهم و رهبانهم أرباباً من دون الله و اتخذوا المسيح ابن الله ثم صوروا حادث صلبه بحيث إنه إنما يبدو إنساناً عاجزاً لا يملك من أمره شيئاً ، ويستهدف لكل إهانة و ذل و استهزاء و سخرية ، كذلك الرافضة الذين خلعوا على سيدنا على رضى الله عنه صفات تثبت أن مكانته أرفع من مكانة النبى ﷺ ولولاه لم يزدهر الاسلام ولم ينتشر فى الآفاق ولم ينهزم الكفر، ثم أثبتوا عجزه وضعفه بإزاء الخلفاء الثلاثة إلى أنه لم يستطع أن يستنكر ما قد كان يراه خلافاً لضميره وعقيدته ، ويحتمل كل إهانة و ذلة لنفسه ولأهل البيت من غير أن يحارب ذلك أويدافع عنه ، فهذا تناقض صريح ، يعرفه كل ذى عقل ، يقول ابن تيمية :

« و هؤلاء الرافضة يجمعون بين النقيضين لفرط جهلهم و ظلمهم يجعلون

(١) أيضاً ج ٤ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

علياً أكمل الناس قدرة و شجاعة حتى يجعلوه هو الذى أقام دين الرسول و أن الرسول كان محتاجاً إليه ، و يقولون مثل هذا الكفر إذ يجعلونه شريكاً لله فى إقامة دين محمد ثم يصفونه بغاية العجز و الضعف و الجزع و التقية بعد ظهور الاسلام و قوته و دخول الناس فيه ، ومن المعلوم قطعاً أن الناس بعد دخولهم فيه فى دين الاسلام أتبع للحق منهم قبل دخولهم فيه ، فمن كان مشاركاً لله فى إقامة دين محمد حتى قهر الكفار و أسلم الناس ، كيف لا يفعل هذا فى قهر طائفة بغوا عليه هم أقل من الكفار الموجودين عند بعثة الرسول و أقل منهم شوكة و أقرب إلى الحق منهم (١) »

مبحث الامامة : تناول ابن تيمية مبحث الامامة بغاية من التفصيل ، وأنكر بقوة ما يقوله الرافضة فى تعريف معنى الامامة ، و اعتبارها ركناً من أركان الدين ، و رد على جميع الدلائل التى يستدلون بها على إثبات الامامة عقلا ونقلا ، و لا سيما عقيدة الامام الغائب فقد استهزأ بها وأثبت أن هذه العقيدة لاتثمر سوى الفساد و الخلاف و البطالة و التعطل (٢) .

الرافضة لا تعتنى بالكتاب و السنة : يقول ابن تيمية : والرافضة لاتعتنى بحفظ القرآن و معرفة معانيه و تفسيره و طلب الأدلة الدالة على معانيه ، و لا تعتنى بآثار الصحابة والتابعين حتى تعرف مآخذهم ومسالكهم بل عمدتها آثار تنقل عن بعض أهل البيت ، فيها صدق و كذب (٣) »

تعطيل الرافضه المساجد و رفضهم الجمعة و الجماعة : و يقول :

« و كذلك الرافضة غلوا فى الرسل بل فى الأئمة حتى اتخذوهم أرباباً من

(١) منهاج السنة ج ٤ ص ٥٦ .
(٢) أنظر ج ٣ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .
(٣) أيضاً ص ٤٠ .

دون الله فتركوا عبادة الله وحده لا شريك له التى أمرهم بها الرسل ، فتجدهم يعطلون المساجد التى أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، فلا يصلون فيها جمعة ولا جماعة ، وليس لها عندهم كبير حرمة ، و إن صلوا فيها صلوا فيها وحداناً، ويعظمون المشاهد المبنية على القبور فيعكفون عليها مشابهة للمشركين ، و يحجون إليها كما يحج الحاج إلى البيت العتيق (١) »

متأخرو الشيعة أتباع المعتزلة : ويقول شيخ الاسلام: « وهم فى دينهم لهم عقليات وشرعيات ، فالعقليات متأخروهم فيها أتباع المعتزلة إلا من تفلسف منهم فيكون إما فيلسوفاً و إما ممتزجاً من فلسفة و اعتزال و يضم إلى ذلك الرفض مثل مصنف هذا الكتاب (٢) »

فان مؤلف كتاب « منهاج الكرامة » قد أثار فى هذا الموضوع بحوثاً للعقائد و الكلام يتجلى فيها لون الاعتزال و الفلسفة بوضوح ، و قد رد عليها جميعاً ابن تيمية بغاية من التفصيل ، و يتضمن كلامه هذا بحوثاً فلسفية وكلامية عميقة ، وبما أن شيخ الاسلام غواص فى بحور المعقول والمنقول كليهما تناول الموضوع كعادته بشرح و إيضاح بالغين (٣) ، و لم يترك حتى جزءاً واحداً إلا و قد رد عليه ، و توصل إلى نتيجة أن اطلاع هذه الفرقة على العلوم العقلية عابر سطحى ، حتى إن علماءهم لا يعدون تلاميذ الابتدائية فى هذا العلم.

التاريخ الماضى : لقد أشار ابن تيمية فى مواضع متعددة من مؤلفاته إلى

(١) أيضاً ج ١ ص ١٣١ .

(٢) أيضاً ج ٣ ص ٤٠ .

(٣) أيضاً ج ٣ من ص ٣٠ إلى ص ١٢٩ .

أن الرافضة فى كل دور من أدوار التاريخ يوالون أعداء الدين الذين يعرف كل أحد معاداتهم من اليهود والنصارى و المشركين ، و ليس لهم سعى إلا فى هدم للاسلام و نقض عراه و إفساد قواعده ، حتى اضطر أخيراً إلى أن يصرح فيقول « فأيامهم فى الاسلام كلها سود (١) »

أهل السنة فى طريق عادل : يعتقد ابن تيمية أن أهل السنة هم وحدهم الذين يأخذون بالقصد و العدل فى طريقهم من بين جميع فرق المسلمين ، وهم الذين يعتبرون بمعزل عن كل إفراط و تفريط ، لا تعارض عندهم بين حب أهل البيت و تعظيم الصحابة الكرام رضى الله عنهم، إنهم يجمعون بين هاتين النعمتين و كلتا الحسنيين ، و ذلك هو الاسلام الصحيح ، إنه يقول

« و أما أهل السنة فيتولون جميع المؤمنين ويتكلمون بعلم وعدل ليسوا من أهل الجهل ولا من أهل الأهواء ويتبرؤن من طريقة الروافض والنواصب جميعاً ويتولون السابقين الأولين كلهم ، ويعرفون قدر الصحابة وفضلهم ومناقبهم و يرعون حقوق أهل البيت التى شرعها الله لهم (٢) »

(١) أيضاً ج ٤ ص ١١١ .

(٢) أيضاً ج ١ ص ١٦٥ .